اللغة العربية ودورها في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية واقع وآفاق

أ. قشيوش رشيدة

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب واللغات

المستخلص:

يتناول هذا المقال دراسة متواضعة حول أهمية اللغة العربية وبداية نشأتها ومدى تطورها، وأيضا مكانتها التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وبهذا فهي لغة متميزة تنفرد بخصائصها التي لا توجد في لغات أخرى، فمن خلال دراستنا لهذا البحث تطرقنا إلى توضيح ماهية اللغة العربية وصلتها بالحضارة والثقافة الإنسانية، فهي الحامل المادي لهذه الحضارة والوسيلة الفعالة التي تربط بين الأجيال المتعاقبة، إذ أن بوساطتها تنتقل الخبرات والإنجازات العلمية والثقافية والحضارية بشكل عام.

الكلمات المفتاحية : اللغة العربية- الحضارة – الإسلام – لغة الدين- الثقافة الإنسانية.

The Arabic language and its role in building civilization Human culture is reality and prospects

Abstract :

This course deals with the study of modest about the importance of the Arabic language and the beginning of its inception and the extent of its development, and also its position, which became after the advent of Islam, as it became the language of the Quran and the Hadith, but the language of religion in general, and in this they are distinct language to implement properties that don't exist in other languages, it is through our study of this research we touched on explaining what the Arabic language and its link with civilization, culture, humanity, the physical condition of this civilization and an effective means of linking successive generations, as a reason to produce the experiences and achievements of the scientific and cultural in general.

Key words: Arabic language- civilization- Islam- language of religion- human culture.

مشكلة الدراسة:

والبحث في هذا الموضوع يطرح الإشكالية التالية:

ما هو الدور الحضاري الذي قامت به اللغة العربية؟ أو بالأحرى هل لها صلة تربطها بحضارة الإنسان وثقافته.

هل اللغة البشرية هي أساس الحضارة الإنسانية؟ فما هي مميزاتها ومجالاتها؟

فما هو الارتباط بين لغة العرب وحضارتهم؟

أهمية الدراسة:

أهمية موضوع الدراسة تكمن في أهمية اللغة العربية وعن تراثها اللغوي الأصيل، ومحل ما تقدم من مميزات وتزيد أنها لغة الدين والقرآن الكريم والعلم والأدب ولغة الوطن والعروبة، ففي إحيائها إحياء الدين، في إهمالها إهمال لهذه الشعائر المقدسة وتهاون في شأنها.

وتظهر أهمية الدراسة كذلك، أنّ اللغة العربية لها أهمية كبيرة في الثقافة والتراث والأدب العربي، لأنها تعتبر جزءا من الحضارة العربية.

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة، اعتمدت على المنهج الوصفي الذي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة، أو محاكمة أو إقحام المنطق في مفهوم اللغة العربية وعلاقتها بالحضارة والثقافة الإنسانية.

نتائج الدراسة:

وفي الأخير، استنتجت أن اللغة العربية مقوم أساسي من مقومات للثقافة العربية الإسلامية وبالتالي فهي منبع الحضارة الإنسانية. وهي لغة الإسلام، والقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، مما ساهم ذلك في تعزيز قيمتها ومكانتها عند العرب والمسلمين.

تمهيد:

اللغة العربية هي اللغة السامية التي حفظت وجودها، وهي لغة عالمية وفي الوقت نفسه، تعتبر لغة مقدسة على اعتبار أنها لغة القرآن الكريم، حيث لا تتم الصلاة والعبادات الأخرى في الدين الإسلامي إلا بإتقان اللغة العربية، حيث عملت طويلا على نقل تاريخ وثقافة الحضارات العربية عبر الزمن، وفي هذه السياق، تعتبر من أهم العوامل التي حافظت على توحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ... ويمكننا القول، أنما تعد من أعز اللغات من حيث المادة اللغوية فهي لغة إنسانية حيث تتميز بنظام صوتي وصرفي ونحوي وتركيبي، ولألفاظها مدلولات مختلفة ... وفي ظل هذا الاهتمام، كان لانتشار الدين الإسلامي تأثيرا مباشرا وغير مباشر في رفع شأن ومكانة اللّغة العربية، حيث أصبحت لغة العلم، والحضارة والثقافة والآداب السياسية لأزمنة طويلة في الديار التي حكمها المسلمون، فقد تحولت من لغة تختص بقبائل الصحراء إلى أمة إسلامية قادت الحضارة لقرون متتالية.

تاريخ اللغة العربية:

اللغة العربية ذات تاريخ طويل، ترتبط بداياته بتكون العربية في إطار اللّغات الأفروآسيوية، ويمضي تاريخها من الجاهلية إلى عصر الحضارة الإسلامية لتصبح أهم لغات الحضارة على مدى عدة قرون، ثم كان على العربية بعد مرحلة من الانحسار أن تعبر عن قضايا الحضارة الحديثة إلى أن أصبحت من أهم اللغات في العالم المعاصر[1].

انحدارها من الساميات:

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، واللغات السامية فرع من أسرة لغوية كبيرة، هي الأسرة الأفروأسيوية، إن اللغويين المحدثين يقسمون اللغات المختلفة إلى أسرات، فأسرة اللغات الهندية الأوروبية تضم عددا كبيرا من اللغات الهندية والإيرانية والأوروبية، أما الأسرة التي تنتمي إليها العربية فهي الأسرة الأفروأسيوية، وتضم عدة أفرع بكل منها مجموعة لغات[2].

وبناء على ما تقدم، فاللغات السامية هي فرع كذلك من الأسرة الأفروأسيوية، ويضم هذا الفرع إلى جانب العربية عدد من اللغات التي كان لها شأن في التاريخ الحضاري للشرق القديم والوسيط.

وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلدانيون والأشوريون في العراق والسريانيون والفينيقيون في الشام والحبشة فيما وراء الساحل الغربي من البحر الأحمر –بحر القلزم، ولها صلة عظيمة جدا بلغة قدماء المصريين.

وكانت هذه اللغات في العصور الأولى متشابهة بحيث يعتبرن كلهن لهجات لغة واحدة: «هي اللغة الأولى القديمة التي انصهرت في هذه اللغات من بعد»[3].

«ومن هنا استطاع **سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام** أن ينتقل بين العراق والشام ومصر والحجاز

وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الأقطار، إذ لم يكن يومئذ يبين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد».

اللغة العربية قبل الإسلام :

كانت العربية قبل الإسلام لغة محلية، يقتصر انتشارها على النصف الشمالي من الجزيرة العربية، ولذلك تسمى باسم اللغة العربية الشمالية، وقد وصلت إلينا العربية الشمالية في نقوش قديمة، وعرفناها أيضا في الشعر الجاهلي، ثم في القرآن الكريم وحفظت لنا كتب اللغة ملامح من لهجاتها القديمة[4].

يبين لنا **د. عبد الغفار حامد هلال** في كتابه أصل العرب ولغتهم بين الحقائق الأباطيل، حيث استنتج في بحثه الطويل في فقه اللغة العربية إلى أن اللغة العربية هي إحدى فروع الشجرة التي خرجت منها اللغات الهندية الأوروبية – فالعرب موجة متأخرة جدا من الموجات التي نزلت شبه الجزيرة من طريق بادية الشام حاملة معها لغتها القوقازية المتفرعة من المجموعة الهندية الأوروبية، ويرى أن ينسحب هذا الحكم على بقية اللغات السامية أخوات العربية[5]، فيقول:

«وإذا اعتبرنا اللغة العربية نموذجا لبقية اللغات السامية خرجنا بأن ما يسمونه مجموعة اللغات السامية هو أحد الفروع الرئيسية التي خرجت من هذه الشجرة، ثم تفرعت إلى فروع ثانوية كانت العربية أحدها[6]». ويرجع ذلك الاهتمام البالغ باللغة العربية -في حقيقة الأمر- إلى تلك المكانة التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام، إذ أنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، بل لغة الدين بوجه عام، وصار اهتمام العلماء بها عن رغبة قوية في معرفة أسرار تلك اللغة التي نزل بها القرآن، فسعوا إلى حفظ تراثها اللغوي والدفاع عنه، وكان الناس على عهد الرسول يسألون فيما صعب عليهم فهمه من ألفاظ القرآن، ولعد وفاته كانوا يرجعون إلى أهل العلم بحثا عن تفسير كلمة أوفهم معنى مستغلق، وكانوا لا يتحرجون من التنقيب في الشعر حتى يعبروا على ضالتهم ويصلوا إلى هدفهم، وتنقل المصادر عن ابن عباس، ترجمان القرآن، عبارات تؤكد هذا النهج، إذ ورد فيها قوله : «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا إلى ذلك فيه. وانطلاقا من هذا، فالعربية ليست كما يدعي بعض اللغويين العرب، لغة متميزة تنفرد بخصائصها لا توجد في لغات أخرى، ومن جهة أخرى ومن جهة أخرى لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات «الغربية» التي بنيت لوصف لغات أوروبية، بل العربية لغة كسائر اللغات البشرية[7].وضمن هذا الاهتمام، فاللغة العربية بصفتها «لغة» تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية)، ومن البديهي تضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات. ونذكر هاهنا أيضا أنها بصفتها **«عربية»** تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كل اللغات، وإنما توجد في بعض اللغات. والأمر المؤكد هو كونها «عربية» لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا توجد في أية لغة من اللغات، ومما لا شك فيه هو لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا ونجد لها مثيلا في لغة أو لغات أخرى، هند أوربية كانت أو غير هند أوربية[8].

فالإسلام هو شرعة هذه الأمة ومنهاجها كما أوحاه الله إلى رسول المبعوث إليهم رحمة منه وفضلا، يأخذون ما آتاهم، وينتهون عما نهاهم، يتخذون وحيه المجموع في كتابهم إماما، عرفوا وجه الحكمة فيما يأخذون وما يدعون أو لم يعرفوه، إيمانا وتسليما **«وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»**[9].

تعريف الحضارة لغة واصطلاحا :

أما الحضارة (بفتح الحاء وكسرها) فهي: -لغة- الإقامة في الحضر، والحضر خلاف البدو، وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله، مفتخرا ببداوة قومه، مستخفا بساكني القرى والمدن[10]:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا ! ؟.

والمعنى الاصطلاحي للحضارة، هي على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلا فخلقا، مادة وروحا، دنيا ودينا.

فهي -إذا في إطلاقها وعمومها- قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه، وهي في تخصيصها بجامعة من الناس أو أمة من الأمم -فهي تعد تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص، الذي يميزها من غيرها من الجماعات والأمم[11]. وفي ظل هذا الاهتمام هي نظير المدينة، التي هي في أصل الاستعمال سكني المدن، والتي تقابل الكلمة الأوربية (Civilisation). وبناء على ما تقدم، فالحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم، في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر، ويقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الضائع، ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليه، والممرة فيه[12]، وبقدر ما تزيد من أصنافها تزيد أهل صناعتها، ويتلون ذلك الجيل بها، ومتى اتصلت الأيام وتعاقبت تلك الصناعات، حذق أولئك الصناع في صناعتهم، ومهروا في معرفتها. وبناء على ذلك، فالأعصار بطولها وانفساخ أمدها وتكرر أمثالها تزيد استحكاما ورسوخا ... وهذه هي الحضارة[13].

ويمكن القول، حينئذ أن الحضارة هي تفنن في الترف وإحكام الصانع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله[14].

مفهوم الحضارة في الإسلام :

ولقد عمد الإسلام إلى إقامة مفهوم كامل للحضارة: قوامه الحركة المادية والمعنوية في نفس الوقت وحياطة التقدم المادي بالأخلاق والتقوى وتوجهه إلى صالح الإنسانية وحماية المجتمعات من الفساد والانحراف.

فالحضارة التي أنشأها الإسلام جمع الروحية والمادية، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، وقد رسمت حضارة الإسلام منهجا ثابتا قوامه النظرة الإنسانية وطابع التوحيد والعدل والإخاء واستصفت كل ما كان في تراث الأمم والحضارات القديمة فصهرت الجوانب الصالحة منه في بوتقتها، وطلت تقود العالم كله بسلاح الخلق والتقوى والرحمة والإخاء، ولم تستطيع المؤثرات الطارئة أن تغير من خصائص الإسلام وقيمه الإسلامية، وهذا الترابط بين التقدم وبين المعنويات والماديات والمحاذير القائمة كالحديد والأخلاق والضوابط دون أن يفقد التقدم أخلاقيته أو تقواه، هو وحده نقطة الخلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في مفهوم الغرب، وهذه هي نقطة الاختلاف بين الحضارة في مفهوم الإسلام والحضارة في مفهوم الغرب[15].

ويمكن القول حينئذ، أن الحضارة الغربية وريثة الأصول الإسلامية لم تلبث أن ارتدت إلى أصولها اليونانية الوثنية والرومانية العبودية، ووصلت بين الروح والمادة، والعقل والقلب والدنيا والآخرة وأعلت الجانب المادي وحده أعلاء الحاملا واعتبره الأساس الوحيد لبناء الفكر والمجتمع، وانتقصت كل ما يتصل

بالدين والأخلاق والمعنويات والقيم الروحية وحررت الحضارة من ضوابطها وحدودها وهدفها الأصيل الذي يرمي إلى إسعاد البشرية عامة وليس إسعاد فئة خاصة أو أمة خاصة أو عنصر خاص[16].

وبناء على ما أومأنا إليه أنفا، فقد تتمثل مقومات الحضارة الإسلامية في عناصر أساسية أهمها:

قامت **الحضارة الإسلامية** على أساس مفهوم الإسلام، وقد أمدها القرآن بالروح والهدف ومؤشرات الحركة وضوابط العمل وأعطاها القوة والتماسك، والموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد والترف معا والتحرر من الجمود والتحلل معا، والجدير بالملاحظة فقد اتسمت الحضارة الإسلامية بالسماحة والإنسانية والعالمية فقد حرصت على حماية حرية غير المسلمين واحترمت شعائرهم وفتحت أمامهم أبواب العمل، وقد تمثلت مفهوما أساسيا هو طابعها الأصيل: هو الجمع بين الدنيا والآخرة وبناء الحياة والعمل فيها على أساس من الأخلاق والتقوى والإخاء الإنساني والرحمة[17]، ولقد ربطت العالم بالدين والسياسة بالأخلاق. كما اتسمت بالبساطة والبعد عم التعقيد والصراع.

فالإسلام عبادة ومعاملة، وهو نظام مجتمع ومنهج حياة، فيه رحابة التقبل لكل جديد متى كان صالحا، والتفتح على آفاق الأمم والحضارات يأخذ منها ويدع ويعطيها أيضا[18]. ومن هنا نستنتج أن حضارة الإسلام كانت حضارة جامعة وحضارة وسطية ولها أساس ثابت مستقبل للمتغيرات، فلقد كرمت العلم وشرفت العقل ولم تنس تكامل القلب والعقل، واتسمت بطابعها المميز الذي لا ينصهر في الحضارات أو العقاد، وكذلك حافظت على مقوماتها الأصلية.

اللغة العربية والحضارة :

إن الدور الحضاري الذي قامت به اللغة العربية، كما أن هناك كتبا تناولت هذا الموضوع بشيء من الدقة والأصالة، والشرح وبالحجة اليقين ... إنما الذي يجب أن يذكر هو دور اللغة العربية التاريخي الذي قامت به في إفريقيا وخارج الحدود العربية وغير إفريقيا باعتبارها لغة الدين الذي دانت به تلك الحكومات والممالك التي قامت في كثير من البلدان ولاسيما في إفريقيا والإمبراطوريات كإمبراطورية مالي وغانا، ومملكة سانغاي، وقد كانت اللغة العربية هي لغة الإدارة والتعليم فيها[19]، ومنذ ذلك الوقت وبدخول الإسلام إلى هذه الأماكن أصبحت تدرس في معظم أنحاء إفريقيا والعالم الإسلامي حيث يعيش أقوام غيرنا ناطقين بها ولكنهم أقبلوا على تعلمها نظرا لدورها الحضاري والديني ...[20]، ومع هذا فقد أدركت إفريقيا أهمية اللغة العربية كأداة اتصال بينها وبين العالم كله ما دامت قد أصبحت لغة رسمية غي هيئة الأمم المتحدة وما يتبعها من منظمات دولية أخرى. والجدير بالذكر، أن **اللغة العربية تمتاز بتراثها الحضاري** وبكتاباتها التي تزخر بآلاف المخطوطات والكتب قديما وحديثا، كما أنها سجل لأرقى الحضارات التي عرفتها البشرية في السابق، وكما هو معلوم وشائع أصبحت اليوم لغة الدراسة والتعليم في الجامعات والكليات في أكثر فروع المعرفة، في حين أننا لا نجد لغة واحدة إفريقية يدرس بها في جامعاتها ما عدا اللغة العربية التي أصبحت لغة الدراسة في الجامعات العربية[21].

اللغة العربية وصلتها بالحضارات والثقافات الإنسانية:

إذا كانت **اللغة** وسيلتنا لإدراك العالم، فأن المعادلة تنقلب هنا ليصبح إدراكنا للعالم هو ما يتحكم بشكل أو بآخر في قضايا لغتنا، ونظرتنا إليها، ويحدد أفق انتظارنا، فاللغة العربية ترتبط بكيان المتلقي

العربي ارتباطا لا يضاهي، لأنه نابع من اعتبارات دينية، وحضارية، ونفسية ... لأن اللّغة العربية هي لغة القرآن الكريم المعجزة الربانية الخالدة التي شرف الله بها أمة العرب، وكرمها لما أنزل آخر كتاب سماوي وهو كتاب ناسخ للكتب السماوية السابقة بلسانها. إن التشريف الذي حظيت به اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، جعل قديستها من قدسية القرآن ومكانتها من مكانته، فربط العرب بين اللسان العربي والأعمال الإيمانية[22]، حيث يقول الإمام الشافعي في هذا الشأن: «على كل مسلم أن يتعلم لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيها افترض عليه من التكبير، وأمم به من التسبيح والتشهد وغير ذلك»، وهذا الفرض بالضرورة الحفاظ على هذه اللغة، والاعتناء بها لأن حب العربية من حب القرآن وحبهما من حب الله[23] (حيث يقول في هذا الشأن : «إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف عليها همته»:

أ. **لغة القرآن الكريم:** تكفل الله سبحانه باللغة العربية وبرعايتها وحفظها، فكان في حفظ القرآن حفظ للغة العربية، وكل من «يؤمن بأن القرآن حقيقة خالدة مجبر على أن يؤمن بأن لغة القرآن –وهي العربية الفصحى– هي أيضا حقيقة خالدة، لأن خلودها مرتبط بخلوده وبقاءها ببقائه»[24]، ويشهد على ذلك كون العربية هي اللغة «الوحيدة بين المجموعة السامية التي تثبت على مر العصور في حين لم تثبت تلك اللغات»[25] التي عاصرتها أو تكونت بعدها.

ب. **رمز العروبة والإسلام:** فتعلم اللغة العربية أمر واجب على كل مسلم إذ «لا عروبة ولا إسلام لمن لا يحسن اللغة العربية يوقرها من أبناء العرب، وإذا حيت اللغة العربية حي معها الاعتزاز بالشخصية العربية، والتعلق بكتب التراث، وعلى رأسها القرآن والحديث وسير الأبطال والصالحين»[26]، ويدل هذا الارتباط بين العروبة والإسلام من أروع ما تفتقت عنه عبقرية الإسلام وهو وجه من وجوه إعجازه.

إن هذا الارتباط مكين بين لغة العرب وحضارتهم، وكل منهما مبني على الآخر، وبناءا عليه فإن **«الحضارة لا تتأتى لأحد إلا عن طريق اللغة ... الحضارة في نوع من التعريف الموجز، هي لغة وعن طريق اللغة يكون التفكير كله، ويكون التفاهم كله، ويكون التواصل كله، ويكون التفاعل بين العقول والأفكار، اللغة هي أضخم عملية حضارية، تنشئ الحضارة وتمثلها وتعبر عنها، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، ولهذا فإن نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو معلم من معالم حياتنا الحاضرة، وطريق أساسي من طرق بناء المستقبل»**[27].

فحضارة العرب في كليتها مبنية على الكلمة وسحرها وبيانها، أو لنقل بالكلمة الواحدة إنها حضارة لغو، لغو لا قدح فيه، فلما كانت العربية شاملة لكل ميادين الحياة أخذت اللغة أيضا هذا الطابع الشمولي وهي ميزة أخرى لا تعدلها فيها لغات أخرى وإلى هذا يذهب صاحب كتاب دفاعا عن العربية، حيث يقول : **«أما الحضارة العربية – الإسلامية التي تحملها وتحويها اللغة العربية فأنها عنيت بنواحي الحياة كلها بأسس معاني الإنسانية، فهي أولا حضارية روحية وأخلاقية. ثم إنها حضارة تشريع، ثم إنها حضارة فلسفة**

وفكر متفتح، ثم إنها حضارة علمية درست الطبيعة والإنسان دراسة تجريبية، ثم إنها حضارة آداب وفنون جميلة، ثم إنها حضارة صناعة وتجارة. فاللغة العربية تحمل ثروة من الثقافة الإنسانية لا تنضب»[28].

وبناء على ما أومأنا إليه يمكن القول: إن اللغة البشرية هي أساس الحضارة الإنسانية، فهي الحامل المادي لهذه الحضارة والوسيلة الفعالة التي تربط بين الأجيال المتعاقبة، إن بوساطتها تنتقل الخبرات والإنجازات العلمية والثقافية والحضارية بشكل عام، فهي من ثمة الوسيلة التي تجعل الإنسان لا ينقطع عن الحياة بانتهاء أجله، وذلك لأن اللغة تعينه على الامتداد تاريخيا ليسهم في تعميق فكر الأجيال اللاحقة، وتشكيل وعيها الثقافي[29].

وحدة اللغة والثقافة :

والثقافة كما مر معناها مرارا هي مجموعة المعارف العقلية والشرعية واللغوية، هذه هي الثقافة الإسلامية التي تمثل مجموعة المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سببا في بحثها، ولم تكن هذه الثقافة إلا ثقافة شفهية آنذاك، والمهم هنا أمران: أحدهما أن الجانب المتعلق بالاعتقاد وفهمه كان جانبا واضحا وعلى عمقه بسيطا يفهمه القاضي والداني، فلم يكن المسلمون قد خاضوا في علم الكلام آنذاك ولا علم المنطق، ولم تكن الفلسفة وأفكارها قد طغت، بل كان جو علم النبي صلى الله عليه وسلم الذي حمله الصحابة هو الطاغي والسائد آنذاك، فضلا عن أن الجماهير الواسعة من الناس كانوا هم أهل اللغة ويفهمونها حق فهمها بالعمق والوضوح، فلم تنشأ فكرة التأويل بالنحو الذي أتى به أهل اللغة مع زيادات شرح بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الألفاظ المتسع في مدلولها مثل «الصرعة» و«الرقوب» و«المفلس» وغير ذلك[30]. **والثقافة العربية الإسلامية** عربية في لغتها، إسلامية في جذورها، إنسانية في أهدافها، وهي شأن كل ثقافة تتكون من مقومات أساس فكرية وروحية أهمها العقيدة وهي الإسلام، واللغة العربية وآدابها والتاريخ والتراث ووحدة العقلية والمزاج النفسي، وقد تأكد أنه لا يمكن لأية ثقافة من الثقافات أن تنمو إلا إذا كانت ذات صلة بدين من الأديان، فالدين هو الذي يكسب الحياة الاجتماعية معناها، ويمدها بالإطار الذي تصوغ فيه اتجاهاتها وأمالها[31]. ومع ذلك فأن اللغة لا يمكن أن تعتمد كليا على الجينات لأنها تتأثر تأثرا قويا بالثقافة، وفي الحقيقة فنحن نصبح عاجزين فعليا في ثقافة لتكلم لغة مختلفة ما لم نلجأ إلى الإشارة، وهناك ما قد يغري المرء بأن يعتقد أن اللغة هي آلية للحفاظ على سلامة الثقافة وإبقاء الأجانب خارجها، وفي هذا الصدد كثير من الخصائص الإنسانية تعتمد بوضوح لا على الشفرة الجينية بل على الثقافة التي يتصادف أن نكون جزءا منها[32]. وضمن التوجه نفسه يطلق «ريتشارد دوكنز» على هذه الخصائص المحددة ثقافيا اسم «المذكرات» وهي تضم القصص والأغاني والمعتقدات والمخترعات والنظم السياسية والمطبخ وفي الحقيقة كل ما نعده فعلا جزءا من الثقافة[33]. ولقد علمنا التاريخ الثقافي والحضاري للأمم والشعوب، أن في ازدهار اللغة ازدهار للحياة العقلية، وتقدما في مضمار العلوم والفنون والآداب، وأن في قوة اللغة قوة للأمية الناطقة بها، وأن اللغة تكتسب قوتها من إبداع أهلها بها، ومن تفوقهم في هذا الإبداع الذي يشمل نواحي الحياة العامة[34]، وبعكس ذلك يكون في ضعف اللغة ضعف للأمة الناطقة بها، ويمكننا القول حينئذ أن هذا الضعف يسري إلى مفاصل المجتمع وإلى مرافق الحياة جميعا وفي هذا السبيل يكون التراجع الذي قد يؤدي إلى العجز الثقافي والحضاري وجمود الحياة[35].

إن رصد ملامح الثقافة العربية من خلال المسألة اللغوية في الفكر العربي المعاصر يحملنا على استكشاف ثلاث أزمات كبرى اخترقت سلطة اللغة العربية خلال تلك الحقبة، اثنان منها انتهتا إلى توازن نسبي والثالثة استعصت وما ننفك تلقي بتحديات قاهرة، وثلاثتها هي أزمة اللغة العربية مع اللغات الأخرى، وأزمتها مع العلم اللغوي وأزمتها مع نفسها[36].

كان رواد الفكر العربي المعاصر على وعي بأن اللغة العربي تحمل معها مجدا تاريخيا جليلا لأنها كانت في معظم القرون لغة الغالب وبفضل ذلك تعامل أهلها مع اللغات الإنسانية تعاملا نبيلا خلا من كل العقد الثقافية والمربكات النفسية، ولكن حركة الاستعمار بعد أن يتسنى من خلخلة الصلة بين الهوية الدينية والهوية اللغوية تفرغت بالكلية إلى ربط المعرفة العلمية باللغة الأجنبية: الانجليزية والفرنسية تخصيصا وظلت العربية تقاوم داخل قلاع غدت كالرموز في تجسيد العلاقة المكينة بين الثقافة واللغة: جامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين[37]. وإذا نظر المرء خارج أوروبا، إلى الثقافة اللغوية التي اعتمد عليها الأوروبيون بشكل كبير ومفيد جدا فإن الحاجة لم تزل ماسة إلى كتابات وتفسيرات جديدة، فقد تمت في الواقع دراسة كثير من المؤلفات اللغوية الصينية والعربية والهندية بشكل واسع النطاق، ولكن هذه الدراسة كانت إلى حد كبير من زاوية مكانة هذه المؤلفات في التاريخ الثقافي والأدبي لهذه الشعوب نفسها[38]، ولكن المعالجة العلمية التي تربط الكتابات المتفردة في هذا الميدان بالنظرية اللغوية الحالية وتطبيقاتها، وسوف تسد ثغرة واسعة في فهمنا لتاريخ العالم الثقافي[39]. وبناء على ما تقدم، فاللغة العربية مقوم أساس من مقومات الثقافة العربية الإسلامية، ذلك أن العربية ليست لغة وأداة فحسب، ولكنها لغة فكر أساسا، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام، وإن كانت احتفظت بلغاتها الوطنية، فإنها اتخذت من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها فصارت تكتب بها[40]. والثقافة العربية الإسلامية ليست مجردة، فنحن لا نكتفي فيها بالبحث عن أصول الأشياء ولا عن حقائقها وحدها، ولا نبحث فيها بحثا مجردا، لأن الثقافة جزء من الإنسان، فإذا كان العقل يغذيها، فأنها لا تنبع من العقل وحده، وإنما تنبع في النفس البشرية، وتنبع في الأحاسيس وتنبع في الذوق، وتنبع أكثر من ذلك في الوجدان، بل هي أيضا تتصل بالجانب الأساس الذي ميز الله به الإنسان عن الحيوان، ألا وهو الضمير إن الثقافة تتصل بالضمير والضمير أعمق وأروع من العقل. ومن هنا نستنتج أن الضمير الإسلامي هو منبع الثقافة العربية الإسلامية، ولذلك فهي ثقافة الوجدان الإنساني. وانطلاقا من هذا التوجه، فيمكن القول على أن الثقافة العربية، هي ثقافة الأمة العربي التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها، فلم يكن لهذه الأمة كيان قائم الذات قبل الإسلام، وإنما كانت قبائل وعشائر لا تجمعها عقيدة، ولا يوحدها إيمان برسالة سماوية حتى إذا بعث الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلّم بالإسلام، كان هو الدين هو الرسالة الخالدة للعرب[41].

العربية ومؤامرة التغريب:

مضت العربية حقبا طويلة تخدم التواصل والفكر والعلم والدين، إلى أن اصطدمت بحملات المؤامرة. والمؤامرة على العربية قديمة قدم المؤامرة على الدين، وقد لبست في بعض حلقاتها ثوب البحث العلمي، وهي صورة خادعة تجد لها ممن يلم بخيوط المؤامرة استجابة ساذجة[42].

ومن المعروف أن العربية كانت منحصرة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ثم بدأت تنتشر معه في كل اتجاه، اصطدمت مع لغات كثيرة أثرت فيها وتأثرت بها بعض التأثر، ولكنها سادت وعمت، وهي الآن تواجه صراعا شديدا بسبب ظهور جديد للحضارة والعلم الذي يفرض على العربية أن تستوعبه، وبسبب وجود لغات تنازعها البقاء، بعضها محلي وبعضها أجنبي، ولابد أن تقاومها وتظهر عليها، وهي مطالبة بأن تتفوق على اللغات واللهجات، وتعبر عن الحضارة والعلم، وأن تستعيد دورها في إطار الجامعة الإسلامية بعد أن سلبتها إياه الجامعة اللاتينية، وذلك بأن تستعيد مكانتها على ألسنة المسلمين ونمط تفكيرهم[43].

تقول الأستاذة عائشة عبد الرحمن:

«ليست عقدة الأزمة في اللغة ذاتها، العقدة - فيما أتصور - هي أن أبناءنا لا يتعلمون العربية لسان أمة ولغة حياة، وإنما يتعلمونها بمعزل عن سليقتهم اللغوية: قواعد صنعة وقوالب صماء، تجهد المعلم تلقينا والتلميذ حفظا، دون أن تكسبه ذوق العربية ومنطقها وبيانها»[44].

إن وجود لغة عليا للفكر والأدب والعلم، مع لهجات محلية للتعامل، ظاهرة طبيعية عرفتها العربية منذ قديمها الجاهلي، وتعرفها الدنيا في سائر اللغات الحية[45].

فظلت اللغة العربية لغة الدين والدولة والعلم والتعليم إلى يومنا هذا.

الاستعمار الغربي والنهضة اللغوية الأولى :

تشكل عصور النهضة تغيرا، كان له كبير الأثر في إنهاض العقول من غفلتها، وفي إخراجها من ديار العصور السابقة التي عم فيها الجهل، وسيطرت العجمية وتفشت الأمية، في دار الإسلام والعرب من أدناها حتى أقصاها. وظهر قبس النهضة الأولى، منذ مطلع القرن التاسع عشر، وحدثت فيه تغيرات كثيرة سياسية واجتماعية وعقلية وفكرية وأدبية وعلمية[46].

كانت اللغة العربية سلاح تلك الشعوب الذي جابهت به السيطرة الأوروبية التي عملت على عرقلة انتشار اللغة ونمو الفكر والثقافة الإسلامية. وكان للطباعة والصحافة والمدارس والمكتبات والجمعيات والمجامع دور في تحرير الشعوب الإسلامية والعربية من الخمول والجمود الذين شلّ مظاهر الحياة. وحاولت طائفة من العلماء فرض اللغة العربية كأداة للتعبير في السياسة والقضاء والعلم والأدب، وأوصت بتقديم المعنى على اللفظ، فكان هذا الطور الأول لمحاولات انطلاق «النهضة اللغوية الأولى»[47].

وهكذا حاول الاستعمار محاربة العربية، بلهجاتها الشعبية للوصول إلى تمزيق نسيج الأمة، وفك وحدة اللغة والمزاج والفكر والفعل، وليجعل من الأمة الإسلامية عقليات متضاربة بدلا من عقلية واحدة.

فكان هذا الاتجاه الاستعماري يحاول إحلال لغته محل العربية. وقد كانت «الجزائر» بحكم سبق الاستعمار إليها، حقل التجربة في غزو الاستعمار لغرب العالم الإسلامي، ومصر في قلب المشرق، حيث كانت ميدانا لتجربة تمزيق الوحدة اللغوية.

نموذج من أبطال الجزائر: «الشيخ عبد الحميد ابن باديس»:

لقد اجتاز هذا الزعيم الروحي، بمواطنيه، بحر اليأس، ونقلهم إلى الشاطئ الآخر ... فرسم بذلك منعطفا حادا في تاريخ المجتمع الجزائري، في ظل ذلك الاستعمار الرهيب.

يقول المفكر الإسلامي الجزائري الكبير «مالك بن نبي»: إن الجزائر ما قبل ابن باديس، كانت

البطولات فيها تتمثل في «جرأة الفرد» في «قوة رجل»، فلم تكن حوادثها تاريخا بل قصصا ممتعة، «ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله، وإنما كانت مأساة ضمير لصاحبه، لا يصل صداه إلى الضمائر الأخرى فيوقظها من نومها العميق». ويعتبر أن معجزة الحياة في الجزائر قد بدأت بصوت «عبد الحميد ابن باديس»، الذي أيقظ «المعنى الجماعي»، وحوّل مناجاة الفرد إلى حديث الشعب.

أحيا «**ابن باديس**» روح القرآن في قلوب المسلمين، في الوقت الذي كان الاستعمار قد أجهز على هذه القلوب طامحا إلى فرنستها. وكان المبشرون يلقنون المسلمين أنهم أوروبيون مسيحيون في أصولهم، وأن العروبة والإسلام أجنبيان عنهم!!! ولكن ما لاحظه المستشرق الفرنسي «ماسينيون» الضالع مع الاستعمار، أنه كانت –رغم هذا كله- تسود الجزائر عاطفة بدت له غريبة جدا، تلك هي طموح المسلمين إلى أن ينفذوا بدينهم إلى عقول الفرنسيين وأرواحهم. وقد لاحظ أن كتّابا من الجزائريين –كانوا يجيدون اللغة الفرنسية إجادة تامة- راحوا يستخدمونها في بث الدعاية في فرنسا، المعرضين بحكم ظروفهم لخطر الخروج عن أصول الدين، بل لكي يُدخلوا إلى الدين الإسلامي من يستطيعون من الفرنسيين، وقد وفقوا فعلا إلى غرضهم، حيث دخل في الإسلام بعض الفرنسيين من الرجال والنساء.

لقد ناضل الشعب الجزائري طويلا، وتحمل من أفانين التعذيب والفتك والتدمير ما جعله من أعظم شعوب العالم صبرا على المكاره وشجاعة وثباتا وتفانيا ... ذلك أن قيم العروبة والإسلام، والمبادئ العالية التي كان قد أججها في الصدور، الإمام عبد الحميد ابن باديس وصحب الميامين، قد أثمرت الآن ... فكان الثوار - قادة وجنودا - هم أولئك الذين تشربوا مبادئه فأشربت نفوسهم صلابة وعزما ومضاء.

وحقيقة «**عبد الحميد ابن باديس**» أن يوصف، بصنيعه الهادئ المستمر على ممر السنين إذ كان الشعور وشحذ الهمم، بأنه - كما عبر الدكتور محمود قاسم* - هو «الرجل السهل الممتنع الذي بدأ ينحت في الصخر نحت خرير الماء الهادئ، حتى أتى على الصخر وأزاله من طريق هذه الأمة»[48]. وفي مجال اللغة العربية، جاهد الإمام عبد الحميد ابن باديس في سبيل أن تكون العربية في مكانها الشرعي في الجزائر، إذ هي لسان دينها ووعاء قرآنها وكان يرى أن اللغة أقوى في توحيد الأمة من العرق والدم، وفي هذا المجال يقول : «... تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكون الأمة ويربط أجزائها ويوحد شعروها، ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد.

ويطيب لنا أن نقول بأن الأمة العربية قد أنجبت على ترابها أبطالا ونوابغ لعبوا دورا رائعا في الجهاد المسلح وفي الصراع الحضاري، وكانت مسيرتهم وما تزال ضوءا يكشف للأجيال عظمة هذه الأمة العربية التي أنجبتهم.

لطالما تميّزت الأمم والحضارات على مرّ الأزمان والعصور بلغاتها الخاصّة بها، والتي اعتبرت ركنا أساسيا من الأركان التي تقوم عليها أي ثقافة، وبالتالي هي مظهر مهم من مظاهر الاختلاف بين الأمم تتباهى وتفتخر بمزايا لغتها، وتحرص دوما على تعليمها للأجيال الصاعدة، فضلا عن نشرها بين الأجانب ممن لا يتقنونها، فهي بوابة التعرف على الحضارات، والتمازج بين الأمم والشعوب في شتى أصقاع الأرض.

مميزات اللغة العربية ومكانتها :

لكل أمة ثقافة تخصها، وتتصل بغيرها من الثقافات وتتفاعل معها وتزداد بهذا التفاعل ثراءً وعمقا وحيوية وثقافة الأمة هي هويتها التي تميزها بما تنتظمه من العقيدة والأعراف والأدب والعلم والعلاقات الإنسانية الداخلية والخارجية[49].

يقول الدكتور مازن المبارك في كتابه النفيس (اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي): «إن الأمة التي تهمل لغتها أمة تحتقر نفسها وتفرض على نفسها التبعية الثقافية، وإن التعليم بغير العربية يلقي في نفوس الطلاب أن لغتهم القومية غير ذات نفع لهم، وأنها لا تصلح للعلم والبحث العلمي، وسيؤدي ذلك إلى وجود حجاب بينهم وبين لغة و ثقافة وتراث أمتهم»[50].

إن الثقافة الإسلامية ليس غايتها تهذيب الفرد أو الجماعة في بيئة معينة وإنما ترمي إلى تثقيف الجنس البشري بأكمله، والدين الإسلامي غايته الإنسان في كل مكان يشجعه لتحسين ذاته، وترقية أحواله وإعلاء شأنه في جميع مجالات الحياة الحرة الكريمة[51] هذه هي روح العقيدة الإسلامية التي أرادها الله عز وجل لعباده الصالحين والتي جاءت رحمة للعالمين في مختلف مجالات السلوك والعلم. زيادة على ما تتسم به اللغات بشكل عام فإن للغة العربية من الميزات ما يؤكد رجحانها على وسواها.

أما ميزاتها فتكمن في كونها لغة التنزيل إذ قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195)**﴾[52].

وما اختيارها من الله عز وجل لتكون لغة آخر رسالة سماوية لبني البشر إلا دليل على رجحانها، وقدرتها على حمل المعاني الإلهية، توصيلها إلى بني آدم بلسان عربي وصفه الله تعالى بالإنابة، إذ قال تعالى في سورة أخرى : ﴿**لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾[53]، وفي هذه الآية تشديد على إنابة العربية. وفي فضل العربية قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**عليكم بالعربية فإنها تثبت العقل، وتزيد المروءة**». وفي رجحان العربية على سواها من لغات العالم قال الفراء : «**لقد وجدنا للغة العرب فضلا على لغة جميع الأمم اختصاصا من الله تعالى، وكرامة أكرمهم بها**»[54]. وفي منزلتها عند الله وجوب المثابرة عليها قال الثعالبي : «إن من أحد الله أحب رسوله المصطفى، ومن أحل النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي لها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته عليها» ومضى قائلا «ومن هداه الله إلى الإسلام، وشرح صدره للإيمان اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات»[55]. وفي أصلها ورقيها على غيرها وخصائصها قال جريجي زيدان : «**إنها إحدى اللغات السامية، وأرقاها مبنى واشتقاقا وتركيبا، وهي أرقى لغات العام**»[56].

قال **البيروني** عن اللغة العربية المقدسة : «**والهجو بالعربية خير إليّ من المدح بالفارسية**» وكما يقول غيره : «**لئن أهجى بالعربية خير من أن أمدح بغيرها**».

زد على ما تقدم فإن اللغة العربية تتسم بالسعة إذ يقول فيها أحد العلماء : «**إن لسان العرب أوسع الألسنة، وأكثرها ألفاظا ولا يستطيع الإحاطة بها غير نبي**»[57].

يقول «الطاهر بن عاشور» : «ومزية القراءات من هذه الجهة عائد إلى أنها حفظت على أبناء العربية

ما لم يحفظه غيرها وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق، بتلقي ذلك عن قراءة القرآن الكريم من الصحابة بالأسانيد الصحيحة[58]، وإذا كان من أهم وظائف اللغة العربية التعبير عن العالم الإنساني فردا ومجتمعا، باطنا وظاهرا فإنه تبعا لذلك – يقترن تمام اللغة بتمام الأصوات الإنسانية الممكنة، وتمام المخارج الصوتية[59]، ويتحدث الأستاذ «الدكتور عثمان أمين» عن «مزايا اللغة العربية» ويقدم شهادتين من مستشرقين عن تلك «المزايا» فيقول : « من الإنصاف أن نبادر فنقرر بأن العلماء الفرنسيين ليسوا كلهم من علماء الاستعمار، وليسوا كلهم من المتعصبين على الإسلام، بل إن منهم منصفين ذوي نزاهة، أشادوا بالعربية أيما إشادة، ويكفي هنا أن نذكر اثنين من نبهائهم المعاصرين، ممن بذلوا في تنوير مواطنيهم جهود مشكورة هما: «**لوي ما سينيون**»، و»**هنري لوسل**»[60].

فقد أظهرتنا بحوث الأستاذ لوي ماسينيون: على أن اللغة العربية قد امتازت بخصائص قلّ أن نجد لها مثيلا في اللغات الأخرى، وأبرز ماسينيون في بحوثه ومحاضراته فكرة تبدو جديدة بالقياس إلى آراء المستشرفين السابقين، وهي أنه – في حين أن اللغات الهندو-أوروبية إنما جعلت للتعبير عن نظام العالم الخارجي، نجد اللغة العربية وكأنها هي لغة التأمل الداخلي، تأمل الفكر والروح، وكأنما هي مجعولة لكي يتذوق أصحابها مقصدا من المقاصد الإلهية[61]. ولما كانت العربية هي المصدر الوحيد لدى العرب للوصول إلى الفعل الإلهي، فقد أحبها أهلها حبا راسخا عميقا، ومن هناك كان للعرب الفضل في استكشاف رموز الجبر وصيغ الكيمياء والمسلسلات الحسابية ثم إن اللغة العربية لغة الغيب والإيحاء، تعبر بجمل قصيرة مركزة عما لا تستطيع اللغات الغربية أن تعبر عنه إلا في الجمل الطويلة الفضفاضة، «اللغة العربية لغة وعي، ولغة شهادة و ينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن، للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية»[62].

ويسرنا أن ننوه هنا بمقال الأستاذ الفرنسي المستشرق «هنري لوسل»، نشره في جريدة «لوموند Le Monde» بعنوان: «اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية تزودان الدارس بنظرة جديدة إلى العالم» فكتب لوسل داعيا إلى تعليم اللغة العربية في المدارس الفرنسية، مبينا أن هذه اللغة تيسر الملائمة السمعية مع اللغات الأخرى، فقال: «إن التلميذ أو الطالب يجد في العربية معاني لغوية تختلف اختلافا كبيرا عن معاني الفرنسية أو اللاتينية، أو أي لغة أوربية، وعن طريقها يتعرف المتعلم إلى عقلية العرب حيث يجد نفسه أولا أمام الأبجدية العربية، وربما كان فيها في بادئ الأمر موضع للنقد، وسرعان ما يجد لها جاذبية خاصة[63].

أود في الختام أن أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها أثناء معالجتي لهذا البحث، وقد حصرتها في النقاط الآتية:

1. لقد امتازت اللغة العربية أنها لغة الوحي والقرآن والوعاء والقالب الذي يحفظ ثقافة العرب وإبداعهم.
2. يعد نزول القرآن معجزة السماء والرسالة العالمية من الله للبشر بهذه اللغة الشيء الأهم الذي أبرز مكانتها حيث حملت اللغة العربية أفضل وسيلة لنقل أسمى المعاني في هذا الكتاب العظيم، كما أنها حفظت بحفظه عبر الأزمات.
3. كون اللغة العربية اللغة الحضارية الأولى في العالم لوقت طويل.

4. مساعدة اللغة العربية على استمرار الثقافة العربية بين الفئات المختلفة، والمحافظة على الاتصال بين الأجيال.
5. حظيت الحضارة العربية والإسلامية بمكانة مرموقة بين حضارات العالم، بفضل لغتها التي مكنتها من نشر ثمار إبداع العلماء، والفلاسفة، والمفكرين، وغيرهم الكثير، فكانت لغة الضاد هي لغة العلم والمتحدث الرسمي به.

إن اللغة العربية تمتاز بتراثها الحضاري، وهي رمز العروبة والسلام ، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، ولهذا فان نمو لغتنا وازدهارها وقيامها بدورها الفكري هو طريق أساسي من طرق بناء المستقبل. وبهذا فهي تحمل في طياتها ثروة من الثقافة الإنسانية.

الهوامش:

(1)د. محمود فهمي حجازي، ود. النغمات القاضي، وعبد الحميد السيوري ود. عبد الحكيم راضي في «العربية نصوص ودراسات» القاهرة، 1979، ص 5.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) أنور الجندي، «الفصحى لغة القرآن» الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، 1402هـ- 1982م، ص 22.

(4) محمود فهمي حجازي وآخرون، المرجع السابق، ص 07.

(5) عبد الغفار حامد هلال، «أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل» دار الفكر العربي، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، 1417هـ- 1997، ص -8 9.

(6) المرجع نفسه، ص 9.

(7) عبد القادر الفاسي الفهري، «اللسانيات واللغة العربية»، (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر ، ط 4، 2000، ص 56.

(8)عبد القادر الفهري، المرجع السابق، ص 56.

(9)سورة الأنعام، الآية 153.

(10)محمد محمد حسين، «الإسلام والحضارة الغربية»، دار الفرقان، بيروت، ب ط، ب ت، ص 5.

(11) المرجع نفسه، ص 6.

(12) ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، المجموعة الأولى، ص 656.

(13) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(14)ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 304.

(15)أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، دار الأنصار، لبنان، ب ط، ب ت، ص -06 07.

(16)أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، المرجع السابق، ص 08.

(17) أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، المرجع نفسه، ص 08.

(18)أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، المرجع نفسه، ص 09.

(19)محمد وطاس. أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامّة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصّة، ص 266.

(20) محمد وطاس، نفس المرجع، ص 266.

(21)المرجع نفسه، ص -267 268.

(22)حافظ إسماعيل علوي، «اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة»، (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، طرابلس، ط 1، 2009، ص -73 74.

(23)أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص 2.[0]

(24)عبد العلي الودغيري، «اللغة والدين والهوية»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000م، ص 20.

(25)إبراهيم السامرائي، اللّغة والحضارة، الطبعة 1. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977، ص 149.

(26)محمد محمد حسين، «مقالات في الآداب واللغة»، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص 13.

(27)شكري فيصل، «قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العالم للموضوع»، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريف، العدد 26، السنة 1407هـ- 1987، ص 01.

(28)فاضل الجمالي، «دفاعا عن العربية» نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1996، ص 23.

(29)أحمد حساني، «دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات»، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، ص 2000، ص 72.

(30)هيثم جمعة هلال، علي بن أبي طالب (حياته- عصره- خلافته وأعماله)، الطبعة 1، وهران، الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب، 1436هـ- 2015م، ص 227.

(31) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، الطبعة 2، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1436هـ- 2015م، ص 15.

(32) محمد محمد حسين، المرجع السابق، ص 12.

(33) محمود السعران، «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي»، دار النهضة العربية، بيروت، ب ط، د ت، ص 19.

(34) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(35)عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية» مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية، التصفيف والتوضيب والسحب في مطبعة الأيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، د ط، 2013، ص 7.

(36)عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية»، المرجع نفسه، ص -7 8.

(37)عبد السلام المسدي، «التفكير اللساني في الحضارة العربية»، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 3، 2009، ص 11.

(38) روبنز «موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة د. أحمد عوض، ص 12.

(39)روبنز، المرجع نفسه، ص 12.

40(40) - عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية» مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية، المرجع السابق، ص -15 16.

41(41) - المرجع نفسه، ص 17.

42(42) - ميخائيل نعيمة، «بين العامية والفصحى» (الأعمال الكاملة)، دار العلم للملايين –بيروت، ط 1، مارس 1973، ص 356..

43(43) - المرجع السابق نفسه، ص 356.

44(44) - عائشة عبد الرحمن، «لغتنا والحياة»، دار المعارف، بمصر، د. ط، 1969، ص 187.

45(45) - عائشة عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 93.

(46) ريمون طحان، دنيز بيطار طحان، «اللغة العربية وتحديات العصر»، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 25.

(47) ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

* في كتابه «الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية»، دار المعارف بمصر، 1968.

(48) الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نوابغ العرب، دار العودة –بيروت، 1976.

(49) حسني عبد الجليل يوسف، «اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة»، 2005.

(50) فداء ياسر الجندي، «العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية «، دار الفكر المعاصر، 2003م، دمشق، د. ط، ص 125.

(51) حسين الحاج حسن، «حضارة العرب في صدر الإسلام « – مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت- ط 2، 1426 هـ - 2006 م.

(52)سورة الشعراء، الآية : 192- 195.

(53)سورة النحل، الآية : 103.

(54)54إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص 10.

(55)أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية،المرجع السابق، ص 02.

(56)أنور الجندي، اللغة العربية بين حمائها وخصومها، مطبعة الرسالة، مصر، ص 09.

(57)محمد عطية الأيراشي، لغة العرب ننهض بها، دار الكتاب العربي، مصر، ص 123.

(58)الطاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م، ص -1 51.

(59)عباس محمود العقاد، «اللغة الشاعرة»، مكتبة غريب، مصر .

(60)حسني عبد الجليل يوسف، اللغة العربية بين الـأصالة والمعاصرة ، ص 29 .

(61)المرجع نفسه، ص 29.

(62)عثمان أمين، «فلسفة اللغة العربية»، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1970 م، د. ط، ص ص 8- 9.

(63)ينظر: عثمان أمين، المرجع السابق، ص 30.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
(1)إبراهيم السامرائي، اللّغة والحضارة، الطبعة 1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977م.
(2)إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978.
(3)ابن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، المجموعة الأولى.
(4)أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
(5)أحمد حساني، «دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات»، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 04، الجزائر، 2000.
(6)أنور الجندي، «الحضارة في مفهوم الإسلام»، دار الأنصار، لبنان، بدون طبعة، بدون تاريخ.
(7)أنور الجندي، «الفصحى لغة القرآن»، الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، 1402هـ - 1982م.
(8)أنور الجندي، اللغة العربية بين حمائها وخصومها، مطبعة الرسالة، مصر.
(9)حافظ إسماعيل علوي، «اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة»، (دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، طرابلس، ط 1، 2009.
(10)حسني عبد الجليل يوسف، «اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة»، 2005.
(11)حسين الحاج حسن، «حضارة العرب في صدر الإسلام» – مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت- ط 2، السنة 1426 هـ - 2006 م.
(12)روبنز «موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة د. أحمد عوض.
(13)ريمون طحان، دنيز بيطار طحان، «اللغة العربية وتحديات العصر»، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
(14)شكري فيصل، «قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العالم للموضوع»، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريف، العدد 26، السنة 1407هـ- 1987.
(15)الشيخ عبد الحميد ابن باديس، نوابغ العرب، دار العودة – بيروت، السنة 1976.
(16)الطاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر، تونس، السنة 1984 م.
(17)عائشة عبد الرحمن، «لغتنا والحياة»، دار المعارف، بمصر، د. ط، السنة 1969.
(18)عباس محمود العقاد، «اللغة الشاعرة»، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، مكتبة غريب، مصر، دون تاريخ.
(19)عبد السلام المسدي، «التفكير اللساني في الحضارة العربية»، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 3، 2009.
(20)عبد العزيز بن عثمان التويجري، «حاضر اللغة العربية» مع الترجمتين الإنجليزية والفرنسية، التصفيف والتوضيب والسحب في مطبعة الأيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، دون طبعة، 2013.
(21)عبد العزيز بن عثمان التويجري، الثقافة العربية والثقافات الأخرى، الطبعة 2، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1436هـ - 2015م.

(22)عبد العلي الودغيري، «اللغة والدين والهوية»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000م.

(23)عبد الغفار حامد هلال، «أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل» دار الفكر العربي، ملتزم الطبع والنشر، القاهرة، 1417هـ- 1997.

(24)عبد القادر الفاسي الفهري، «اللسانيات واللغة العربية»، (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، ط 4، 2000.

(25)عثمان أمين، «فلسفة اللغة العربية»، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1970 م، دون طبعة.

(26)فاضل الجمالي، «دفاعا عن العربية» نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1996.

(27)فداء ياسر الجندي، «العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية»، دار الفكر المعاصر، 2003، دمشق، دون طبعة.

(28)محمد عطية الأبراشي، لغة العرب ننهض بها، دار الكتاب العربي، مصر.

(29)محمد محمد حسين، «الإسلام والحضارة الغربية»، دار الفرقان، بيروت، ب ط، ب ت.

(30)محمد محمد حسين، «مقالات في الآداب واللغة»، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

(31)محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامّة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصّة.

(32)محمود السعران، «علم اللغة مقدمة للقارئ العربي»، دار النهضة العربية، بيروت، بدون طبعة، دون تاريخ.

(33)محمود فهمي حجازي، ود. النغمات القاضي، وعبد الحميد السيوري ود. عبد الحكيم راضي في «العربية نصوص ودراسات» القاهرة، 1979.

(34)ميخائيل نعيمة، «بين العامية والفصحى» (الأعمال الكاملة)، دار العلم للملايين –بيروت، ط 1، مارس 1973.

(35)هيثم جمعة هلال، علي بن أبي طالب (حياته- عصره- خلافته وأعماله)، الطبعة 1، وهران، الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب، 1436هـ- 2015م.